

سنة

قصة بقلم د. يحيى الأمير

متى يكون رسم الابتسامه البلهاء اسهل ؟ متى يلقي عددا اقل من المعارف ؟ ومتى يكونون اكثر نادبا فلا يسألون . واذا سألوا واجاب فلا يبرهون له على ذكائهم ! كان في الايام الاولى والاسابيع الاولى من اغلاق المؤسسة الانشائية يحتك بالاصدقاء والمعارف ويجيبهم ان لم يسألوا . وكانوا هم يرسمون ابتسامه بلهاء جوابا على جوابه والان . . اصبح اختصاصه ان يرسم تلك الابتسامه حين يقرأ اعلانات عن وظائف شاغرة وحين يتلقى الجواب بالاعتذار ثم صار يرسمها حين يكون وحده . . . يتمرن عليها .

في المخزن الذي امامه حاجيات نسائية . قدماء تلحان بالدخول، ويده تمني تقليب الحوائج والاخرى تقفز للاختيار . احس بحنين جارف اليها . يحمل اليها علبا وعلبا ملفوفة باوراق ملونة ومربوطة باشرطة زاهية تفتح العلب يشوق طفل وينتظر هو سعيدا فرحتها . ينتظر عينيها تداعوانه للعيد . ستبتسمان ابتسامتهما الذكية تخفي الف سؤال ويجيبها هو . . بابتسامته البلهاء .

يصطدم بكتف . انه كتف صديق يتشم له . يبادر هو الى الجواب: - انا عاطل عن العمل منذ حوالي السنة مع اني احاول كل ما في وسعي الحصول على وظيفة . البطالة ارهقتني . لا احس نشوة العيد واعجب ان يتحمسون . .

كان في عيني الصديق ابتسامه بلهاء . . ويجيبه هو بابتسامته البلهاء . . ينحني الراسان ويتعدان .

حينه الى رؤيتها يزداد ، يغطي كل ما امامه . لا يرى سوى شوقه اليها . لا ناس ولا مخازن لا ابتسامات ذكية او بلهاء . حينه اليها يقشي عينيهِ ويقود قدميه . لاول مرة منذ اشهر يحس حماسة ورغبة ملحة في التنفيذ . لا يريد ان يفكر فيما ستقول ولا فيما سيحجب . ستراه وتفهم انه مشتاق وان لم تفهم فسيشرح له احبته واشواقه ونيشكو لها عجزه عن السلوان ويعدها بانها سينجد عملا قريبا ، قريبا جدا ، قبل انتهاء هذه السنة ، وسيحتفلان في ليلة السنة الجديدة بالخلاص من البطالة وبالععمل الجديد وبالرجوع اليها بالانتصار على الابتسامه البلهاء .

يقرب من بيتها . . ليس في نفسه احتفالات . لا انتصار فسي ميدان . جثت الموتى تتراكم في ميادينه . اعماقه جنازة صامته ووجهه ضحكة بلهاء .

يفتح في البيت الدفتر الصغير ويبدأ في الاتصال بالاصدقاء والمعارف القدامى والرفاق والشركات والمؤسسات . الالة الصفيرة السوداء حملت له اصواتا ودودة ومتلهفة واعدة وتحمل برضى الاصوات الحاسمة في اجوية الاعتذار .

وحبس نفسه في البيت في الايام التالية . ينتظر ان يرن الهاتف وحين يطول الانتظار يدير هو الارقام ليرى الصوت الرنين والصوت المجيب الخائل والواعد ، وبدأ في نفسه انتظار . مرور الدقائق والساعات يمضيه ويخذه وتساقط اوراق الروزنامة برعبه ويفرحه . وينتظر الالة الصفيرة السوداء ، ينتظرها ويخشى ان يحبس نفسه قريبا فتعبره صدف قد يلاقيها في الخارج .

ينظر في الصندوق قرب الباب وفيه ما حمل وما لم يحمل ساعي البريد . رؤية ساعي البريد تثير كل الانفعال في نفسه ولا يستطيع ان

كان يدري ان ابتسامته بلهاء ، فظالما قال هذا لنفسه وهو يتمرن عليها امام المرآة ، ولكنها خدعت كثيرين . ولعلها لم تفعل ، ولكن يريدنا ان تكون كذلك .

انه الان في حاجة لضحكته البلهاء يرسمها وهو يرد تحية صديق عابر وقد لا يكون عابرا ، فقد اصبح لكل فرد يلاقي اهمية . اهمية قد تحدد مصيره . ويظهر ان الصديق العابر خدع بالضحكة البلهاء فيادلها اياه بهزة محترمة من رأسه ذي الشعر الكثيف .

كانت الساعة العاشرة صباحا في وقت لا يسير فيه الرجال العاملون في الطرقات . سار يوما في وقت مبكر ، رسم ابتسامته البلهاء لكل من قابل ، ولكن سؤالا من احد معارفه عين له متى يمكن ان يـرى خارج البيت .

- ماذا تعمل الان ؟

- كنت اعمل في المؤسسة الانشائية .

- تقصد قبل ان تفلق ابوابها؟

لماذا يبرهن الناس له على ذكائهم ؟ للسير في الشارع في الساعة العاشرة يبرهن للذكاء عطالته فيسكتون نادبا . والسير في ساعة مبكرة ؟؟ عليه في الحالين ان يرسم ابتسامته البلهاء .

ابن تراها الان ؟ ابن هي ؟ واحس بحنين جارف اليها . يريد ان يراها ولو دفع كل كرامته ثمنا للحظة لقاء . لن تسأله ان وجد عملا ولكن السؤال النائم في عينيها سرعان ما يصحو فتظيه بابتسامتها الذكية ويجيبها . . لا يملك غير ابتسامته البلهاء .

واجهات المحلات منسقة بزينة العيد ذات الالف لون ولون . في مثل هذه الايام او بعدها بقليل اغلقت المؤسسة الانشائية ابوابها . كانت هدية السنة الجديدة للموظفين دفع تعويضهم والاعتذار عن الاستمرار في العمل . السنة الجديدة ستنتهي ويحس ان الصراع سينفذ معها . رسم للايام ضحكته البلهاء وكذلك فعل للناس ولم يستطع ان يستقل اصفر عضلة في وجهه لتتسبط له .

الامهات يمسكن بايدي صفارهن والصفار تقودهم يد الام . رضى في عيون الامهات وفي عيون الاطفال لهفة . لهفة الى شجرة العيد المحملة بالهدايا والمعلق عليها كرات براقه ملونة ملتفة عليها اشرطة مذهبة . . تحمل مفاجآت . . فتح علب الهدايا .

والكبار ؟ الاينتظرون مفاجآت العيد وغير العيد ؟

دفع قدميه دفعا الى مخزن البسة رجالية . توسل الى يده ان تمتد ، تختار رباطا ولكن اصابعه تشبثت ببطانة جيبه . رمى السيكرة، سحقها سحقا بقدمه الاولى والثانية . ماذا يفعل بيده الطليقة ؟ بطانة الجيب الاخر لا يتحصن بها احد . يده المستسلمة المرتخية تعصاه ، تصر على استرخائها المستسلم . يناشد عينيهِ المعونة . تمتد ، تتطلع ، تقلب الاربطة والقمصان والبالات !! لا ترى في البضاعة الوانا متغايرة او نوعية متعددة . يلح طفل ان يسحب يده من يد امه التي تختار رباط عنق . يد الطفل الطليقة لا تصل الى حزمة الاربطة . لا يحس ان طفولته تخصه او انه مر عليها . كأنه غريب يتفرج على اللهفة في عينيهِ طفلا والخبطة في عيون اهله باللهفة في عيني ذاك الطفل .

بضعة ايام وتنتهي السنة ، وهو بعد حائر : هل يترك البيت في الصباح مع العاملين ، ام يتسكع في الطرقات في الساعة العاشرة ؟

نحوه وحيثاه بترحيب ، وأنتهى حديثهما عن المؤسسة الانشائية . قام صاحبهما يراقص ذراعين عاريتين ويهمس في اذن . من المؤكد انه لا يحدثهما عن المؤسسة الانشائية .

وعاد اليه القلق ، كل حديثه لنفسه وايحاءاته الذاتية سحبها حبال ملونة مبعثرة وطاربت بها بالونات براقعة ملونة .
حينئذ اليها ينبح . تمنى وجودها يراقصها ويفهرها بذراعيه ويهمس في اذنها ، يهمس بحديث العودة . العودة الى المؤسسة الانشائية .

قام من كرسية وجلس على كرسي بجوار صاحب الشفتين . يعود صاحبها يقود حسناؤه امامه يجلسها على الكرسي . تجلس الشفتان الواعدتان على الكرسي التالي . يسترق هو السمع . تهمس الشفتان « ذراعاك دافنتان كالمخمل » . يسحب اذنيه . يمد يده الى الكأس . يلتفت الى جارتها يدعوها الى رقصة . يجب ان يقول لها شيئا ، ان يهمس في اذنها بحديث ، لا يحس ذراعيها دافنتين كالمخمل ولا يسعده احتضانه لها .

في احدى الدورات ينظر الى حلقة شلته فبرى الشفتين الواعدتين لا تهمسان في اذن الحسناء . كرسيتها فارغ . لا يدري كيف يتخلص من العمود الذي يحتضن عليه ان ينتظر انهاء قطعة الموسيقى . ويمر الف عام قبل انتهائها . يقود امامه زميلته . يتمنى دفعها ليصل قبلها الى الكرسي الفارغ . تصل اليه وتجلس . يجلس بجوارها ، يجد نفسه يحدثها بصوت عال « نسيت ان اخبرك اني كنت اعمل في المؤسسة الانشائية قبل اغلاقها » . وبكل بساطة تتحرك الشفتان الواعدتان « ستفتح او اظنها عادت للعمل فعلا » . ثم يقوم صاحبها فقد رجعت ذات الذراعين الدافنتين كالمخمل . يحتضن تلكما الذراعين وينهب بهما .

ينفجر في رأسه بركان . البدوي يردد . عادت المؤسسة الانشائية للعمل . عادت المؤسسة الانشائية للعمل . لقد صدق حدسه . صحت نبوءته . كان يدري انه سيلافي قدره الفرحة الليلة . الصدفة التي طالما انتظرها تنتظره الليلة . الساعة الحادية عشرة . الليلة وقبل طلوع صباح السنة الجديدة سيعود حظه الصانع . كله عينان تبحثان عن صاحب الشفتين الواعدتين . وجده لا يزال يدور محتضنا الذراعين الدافنتين كالمخمل . وتتعلق اماله بلحظة انهاء قطعة الموسيقى . وتعاود الفرقة عزف قطعة جديدة اشد حماسة واكثر اثارا . ويحتد الحضور ويتحمسون . تتطلع عيناه الى صاحب الشفتين الواعدتين . يسري اختراق حلبة الرقص . سحب صاحبها وسؤاله ان يسرد عليه كل شيء . رمى امامه عبارته العابرة وتركه في جحيم الترقب .

تواصل الفرقة عزف قطع اعنف واغوى . لن يعود صاحب الشفتين الواعدتين قبل انهاء الرقص ، ويتطلع الى الساعة الكبيرة المعلقة يصارع معها الزمن ثانية بثانية .

هل يتصل بها تلفونيا ليقول لها . . ماذا يقول ؟ « سمع عبارة من شفتين يريدان ؟؟؟ يحس فجأة باستسلام خائق ، وعاد يتطلع الى عقرب الساعة الكبير يريد ان يعبر الثواني .

انظف الضوء . . والتقى العقبان . وعلا الهتاف والتهليل والقهقهات واصوات القبل . عاد الضوء ، رأى ايادي تتصافح ورؤوسا تتقابل وشفاه تتلاقى . يد تمتد اليه وهناك من يقول له « سنة سعيدة » . اجاب بابتسامة بلهاء .

استيقظ صباحا على رنين الهاتف يلح في رنينه . ومن هناك من بعيد ، جاءه صوتها ، قالت : مبروك . فسكت . قالت : كنت اريد ان اكون اول من يهنئك بالعودة الى عملك . فسكت . قالت : فكرت في الاتصال بك امس ثم ترددت . فسكت . قالت : لم لم تتصل بي ؟ كنت انتظر صوتك . فسكت . قالت : سنة سعيدة . اجاب : لم لم تقولي كل هذا في السنة الماضية ؟

ديزي الامير

يصدق ان تكون كوم الرسائل كلها للاخرين وليس له فيها رسالة واحدة !! يستيقظ في الليل وفي ساعات النهار على رنين الهاتف ويكذب اذنيه ان لم سمعاه الرنين ويرفع السماعة . الخط ليس معطلا .

امس ارتدى هذه البدلة وكانت شؤما . اليوم سيفرها ويفسر الحذاء والربطة في الايام التالية . مصدر الشؤم شيء معين بدأ يبحث عنه في نوعية الاكل الذي يبدأ به في الصباح ! وفي اول جملة يتلفظ بها ، وفي الناس الذين يقابل ! الشؤم ليس فيه هو ، لا ليس فيه . ويرن الهاتف رنينا عاديا كياقي المرات في وقت لا يتميز بشيء ويهب اليه . قلبه يعلمه انه يحمل خيرا ويسمع صوت صدق . لا يفهم ما يقوله الصديق . وحين ينتهي الحوار يتساءل « هل اراد السؤال عن ضحتي فقط ؟ اصحح انه مشتاق الي ويدعوني الى سهرة السنة الجديدة ؟ اهذا كل شيء ؟ اهذا كل شيء ؟ »

ويحس بحنين جارف اليها يريد ان يسمع صوتها ، ان يسألها كيف هي . لن يرى عينيها الذكيين ولن يحس اسئلتها الصامتة . ولكنه سيري ابتسامته هو البهاء وسيحس اجوبته هو الصامتة . صراعه مع الهاتف وساعي البريد والثلث والثواني لا يفوز فيه الا استمرار الصراع مع نفسه . يريد انتصارا على نفسه . اي انتصار . انتصارا على شؤم ثياب . على انتظار هاتف . على خيبة من ساعي البريد . انتصارا على حنينه الجارف اليها . سيذهب الى سهرة السنة الجديدة يلهو ويعبث ويمرح لا يجيب على اسئلة ولا يجرفه حنين اليها . ولا يرسم ابتسامة بلهاء . وربما . ربما صادف الصدفة الرقيقة . كل كيانه تنبؤ يحس انه سيلافي حظه . حواسه الخمس بل الست تحذره . سيلاقه في خير عابر ، في جملة توجه له او لغيره ، في شخص كان قد نسيه ويناضل حنينه الجارف اليها . وينتظر لعلها تكلمه او لعل غيرها يكلمه ، ولكن الالة السوداء الصغيرة تودع السنة الراحلة بغير نواح ولا تهليل ، حزنها صامت عميق .

وفي الحفلة يفاجا بجموع الراقصين والراقصات والموسيقي الصاخبة والحالة وصيحات النشوة وحبال الالوان والبالونات المتطايرة . لمان في الثياب والعيون والاسنان .

يحس كانه من اهل الكهف بعد مكوته فيه اكثر من الثلاثة الاف سنة . تصدم وجهه كرة ملفوفة فينفرش على رأسه وجسمه حبل ملون يتفاعل . ستربطه هذه الحفلة بحبل ما . يخترق حشد الرحين يفتش عن شلة الاصدقاء . يلاقونه بحفاوة . يزداد التفاؤل في نفسه . انه محبوب وهو لا يدري ، تجذبه ايد ، يوضع على رأسه طرطور ، تقدم له كأس يعبها وهو مستسلم لنشوة المحبة يريد ان يفرق فيها . يستيقظ منها على كلمة انشائية . يفتش الشفاه . بعضها يقهقه والاخر يهمس والثالث يحلم ورابع يعب كؤوسا . . واخيرا وجد شفتين تتكلمان . كانتا بعيدتين ولكنهما كانتا تتحدثان عن المؤسسة الانشائية . انه متأكد من سماعه هاتين اللفظتين . كاد ان يصرخ في جموع الراقصين يوقفهم . في الموسيقى يبتراها . في القهقهات يخطبها . ولكن الشفتين انجبتها

منشورات ((دار الاداب))

تطلب في القاهرة
من

مكتبة مجبولى

٦ ميدان طلعت حرب
(سليمان باشا سابقا)